ترجمات

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الذكاء الاصطناعي يدمر الجامعات والتعلم ذاته

رونالد بورسر

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الذكاء الاصطناعي يدمر الجامعات والتعلم ذاته

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الترجمة والتحرير

الاصدار / ترجمات

الموضوع / التعليم والمجتمع

رونالد بورسر/ الحاصل على درجة الدكتوراه، أستاذ متميز في إدارة الأعمال بجامعة ولاية سان فرانسيسكو، ومحاضر أول في كلية دارما في بيركلي، كاليفورنيا.

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مقال منشور على صفحة Current Affairs الإلكترونية بتاريخ 1 كانون الأول/ديسمبر 2025

كنتُ أعتقد في السابق أن الضجّة المحيطة بالذكاء الاصطناعي ليست سوى مبالغة إعلامية عابرة. وكنتُ متشككاً عند ظهور ChatGPT للمرة الأولى؛ فالهوس الإعلامي والتصريحات المتحمّسة عن بداية عصر جديد بدت لي مألوفة. افترضتُ أن هذه الموجة ستخبو، شأنها شأن كل موضة تقنية سبقتها.

كنتُ مخطئاً، ولكن ليس بالطريقة التي قد تظنها.

جاء الذعر أولاً. فقد امتلأت اجتماعات الهيئات التدريسية بالقلق: «كيف سنكشف الانتحال الآن؟» «هل هذه نهاية المقال الجامعي؟» «هل ينبغي أن نعود إلى دفاتر الامتحانات الزرقاء والاختبارات المراقَبة؟» وفجأة تصرّف زملائي في كلية إدارة الأعمال كما لو أن الغش قد اختُرع لتوّه.

ثم، وبسرعة شبه فورية، تحوّل عصر تشابك الأيدي قلقاً إلى فركها ترقّباً. فالأساتذة أنفسهم الذين كانوا يتنبؤون بالهلاك الأكاديمي صاروا، بحماسة طفولية، يعيدون تسويق أنفسهم بوصفهم «معلّمين جاهزين للذكاء الاصطناعي». وفي أرجاء الحرم الجامعي، ظهرت ورش عمل بعناوين مثل «بناء مهارات ومعارف الذكاء الاصطناعي في الصف الدراسي» و«أساسيات الثقافة في الذكاء الاصطناعي» كما يظهر الفطر بعد المطر. وحلّ تقبّلُ استسلامي محلّ الذعر الأولي من الانتحال: «إذا لم تستطع هزيمتهم، فانضم إليهم».

لم يكن هذا التحوّل المفاجئ مقتصراً على حرمي الجامعي. فقد مضى نظام جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) - أكبر نظام جامعي حكومي في الولايات المتحدة، ويضم 23 حرماً جامعياً ونحو نصف مليون طالب - قدماً بكل ثقله، معلناً عن شراكة بقيمة 17 مليون دولار مع OpenAI. وكان

من المقرّر أن تصبح جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) أول نظام جامعي «مُمكَّن بالذكاء الاصطناعي» في البلاد، مقدّمةً خدمة ChatGPT Edu مجاناً - وهي نسخة تحمل هوية الحرم الجامعي ومصمّمة للمؤسسات التعليمية - لكل طالب وموظف. وقد فاض البيان الصحفي بعبارات من قبيل «أدوات تعلّم مُخصَّصة ومُوجَّهة نحو المستقبل» والاستعداد لاقتصاد «تقوده تقنيات الذكاء الاصطناعي».

كان التوقيت سريالياً؛ إذ كشفت جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) عن مبادرتها التكنولوجية الكبرى في الوقت ذاته الذي اقترحت فيه خفض 375 مليون دولار من ميزانيتها. وبينما كان الإداريون يقطعون الأشرطة احتفالاً بمبادرة الذكاء الاصطناعي، كانوا في الوقت نفسه يلغون وظائف لأعضاء هيئة التدريس، وبرامج أكاديمية كاملة، وخدمات طلابية. ففي جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) إيست باي، صدرت إخطارات تسريح عامة مرتين خلال عام واحد، طالت أقساماً مثل الدراسات العامة واللغات الحديثة. أمّا جامعتي الأم، جامعة سونوما ستيت، فقد واجهت عجزاً قدره 24 مليون دولار، وأعلنت خططاً لإلغاء 23 برنامجاً أكاديمياً - من بينها الفلسفة والاقتصاد والفيزياء - ولتقليص أكثر من 130 وظيفة لأعضاء هيئة التدريس، أي ما يزيد على ربع طاقمها التعليمي.

وفي جامعة ولاية سان فرانسيسكو، أخطر مكتب نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية رسمياً نقابتنا، رابطة أعضاء هيئة التدريس في كاليفورنيا (CFA)، باحتمال تنفيذ عمليات تسريح، وهو إعلان أحدث صدمة في أرجاء الحرم الجامعي، فيما حاول أعضاء هيئة التدريس التوفيق بين تخفيضات الميزانية وحماسة الإدارة للذكاء الاصطناعي. وكان التناقض صارخاً: ففي الشهر نفسه الذي تلقت فيه نقابتنا تهديدات التسريح، أقام مبشّرو التعليم في OpenAI منصّاتهم داخل مكتبة الجامعة لاستقطاب أعضاء هيئة التدريس إلى «إنجيل» التعلّم المؤتمت.

إن الحسابات قاسية، والمفارقة فادحة: ملايين الدولارات تُدفع إلى OpenAI، في حين تُسلَّم إشعارات التسريح إلى محاضرين مخضرمين. فبدلاً من الاستثمار في التعليم، يستعين نظام جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) بمصادر خارجية للقيام به، ويدفع أثماناً باهظة مقابل روبوت محادثة كان كثير من الطلاب يستخدمونه أصلاً مجاناً.

للبيع: التعليم النقدي

لطالما كان التعليم العام معروضاً للبيع منذ عقود. وكان المنظّر الثقافي هنري جيرو من أوائل من لاحظوا كيف أُعيد تشكيل الجامعات العامة لتغدو مراكز تدريب مهني تخدم الأسواق الخاصة. فقد باتت الأقسام الأكاديمية اليوم مطالَبة بتبرير وجودها بلغة الإيرادات و«المخرجات» و«نتائج التعلّم». وتمثّل الشراكة الجديدة لنظام جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) مع OpenAI أحدث منعطف في هذا المسار.

وقد تتبّع باحثون آخرون هذا الانجراف ذاته. فقد أطلقت شيلا سلوتّر وغاري رودز عليه مصطلح «الرأسمالية الأكاديمية»، حيث تتحوّل المعرفة إلى سلعة، ويُعاد تعريف الطلاب بوصفهم مستهلكين. وفي كتابه Un-making the Public University، بيّن كريستوفر نيوفيلد كيف تؤدي الخصخصة، في الواقع، إلى إفقار الجامعات العامة، محوِّلةً إياها إلى هياكل تمويلية مثقلة بالديون وفاقدة للروح. في المقابل، وثّق بنيامين جينسبرغ صعود «الحرم الإداري الكامل»، حيث تتكاثر الطبقات الإدارية والبيروقراطية في الوقت الذي يتقلّص فيه عدد أعضاء هيئة التدريس. كما حذّرت مارثا نوسباوم مما يُفقد عندما تُعامَل العلوم الإنسانية - وهي الفضاءات المخصّصة للخيال والتفكير المدني - بوصفها قابلة للتفريط في المجتمعات الديمقراطية. وبمجملها، ترسم هذه الأعمال صورة لجامعات لم تعد تسأل عن غاية التعليم، بل عمّا يمكن أن تجنيه منه.

وقد كتب نظام جامعة ولاية كاليفورنيا الآن الفصل التالي من هذه القصة. فإزاء العجز المالي وتراجع معدلات التسجيل، احتضن الإداريون خطاب «الابتكار» في الذكاء الاصطناعي كما لو كان خلاصاً. وعندما أعلنت المستشارة ميلدريد غارسيا عن شراكة بقيمة 17 مليون دولار مع OpenAI، وعد البيان الصحفي بمبادرة «تعاونية عالية المستوى بين القطاعين العام والخاص» من شأنها «الارتقاء بتجربة طلابنا التعليمية» و«تعزيز اقتصاد كاليفورنيا القائم على الذكاء الاصطناعي». ويبدو هذا الخطاب المؤسسي أقرب إلى بيان صحفي كان يمكن لـ ChatGPT نفسه صياغته.

وفي الوقت ذاته، وفي جامعة ولاية سان فرانسيسكو، جرى تعليق برامج دراسات عليا كاملة مكرَّسة للتحليل النقدي - مثل دراسات المرأة والجندر والأنثروبولوجيا - بسبب نقص التمويل. لكن لا داعي للقلق، كما يبدو: فقد حصل الجميع على ترخيص مجاني لاستخدام ChatGPT Edu.

وقد عاينت البروفيسورة مارثا كيني، رئيسة قسم دراسات المرأة والجندر والمحقّقة الرئيسة في منحة من مؤسسة العلوم الوطنية لدراسة آثار الذكاء الاصطناعي على العدالة الاجتماعية، هذا التناقض عن كثب. فبعد وقت قصير من إعلان جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU)، شاركت كيني في كتابة مقال افتتاحي في صحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل مع بروفيسورة الأنثروبولوجيا مارثا لنكولن، حذّرتا فيه من أن المبادرة الجديدة قد تضر بالطلاب وتقوّض التفكير النقدي.

وكتبت كيني: «لستُ معادية للتكنولوجيا، لكن علينا أن نطرح أسئلة نقدية حول ما يفعله الذكاء الاصطناعي بالتعليم والعمل والديمقراطية - وهي أسئلة يتمتّع قسمي بكفاءة فريدة لمعالجتها».

وكانت المفارقة صارخة: فالبرامج الأكثر أهلية لدراسة الآثار الاجتماعية والأخلاقية للذكاء الاصطناعي كانت تُحرَم من التمويل، في الوقت الذي تروّج فيه الجامعة لاستخدام منتجات OpenAI في أرجاء الحرم الجامعي.

هذا ليس ابتكاراً، بل هو أكلُ ذاتيٌّ مؤسسي.

أما «البيان الرسالي» الجديد، فهو: التحسين الأمثل. فداخل المؤسسة، تتسرّب لغة الشركات عبر المذكرات الإدارية ورسائل البريد الإلكتروني المتعالية. وتحت ستار «الاستدامة المالية» - وهو تعبير ألطف عن «التخفيضات» - يشحذ الإداريون أدواتهم لإعادة هيكلة الجامعة وفق مقاييس الكفاءة، لا وفق الغاية التعليمية.

وكانت رسائل الإداريين ستبدو كوميدية لولا أنها بالغة السخرية. فقبيل عطلة الصيف في جامعة ولاية سان فرانسيسكو، حذّر أحد المسؤولين الإداريين أعضاء هيئة التدريس في رسالة إلكترونية من احتمال تنفيذ تسريحات، مرفقاً تحذيره بعبارات مهدِّئة مثل: «نأمل تجنّب التسريحات» و«لم تُتَّخذ أي قرارات بعد». وبعد أسابيع، جاء وداعه الصيفي المرح: «آمل أن تستمتعوا بآخر يوم لتسليم الدرجات. وربما تقرؤون أخيراً تلك الرواية التي لم تُنهوا قراءتها منذ عطلة الشتاء...»

بالطبع، إذ لا شيء يرمز إلى القراءة الترفيهية مثل شبح البطالة المحدقة. ثم جاء المقطع الحاسم: «إذا واصلنا القيام بالعمل المذكور أعلاه لتقليل النفقات مع الحفاظ على إتاحة التعليم للطلاب، فإننا لا نتوقع الحاجة إلى تنفيذ تسريحات». والترجمة الفعلية: ضحّوا بأعبائكم التدريسية، وأمنكم الوظيفي، وزملائكم، وربما نسمح لكم بالاحتفاظ بوظائفكم - من دون أي ضمانات. والآن، استمتعوا بتلك الرواية.

قدوم التقنوبولي إلى الحرم الجامعي

عندما يصرّ زملائي في كلية إدارة الأعمال على أن ChatGPT ليس سوى «أداة أخرى في صندوق الأدوات»، يغويني أن أذكّرهم بأن فيسبوك كان يوماً ما «مجرد وسيلة للتواصل مع الأصدقاء». غير أنّ ثمة فرقاً جوهرياً بين الأدوات والتقنيات؛ فالأدوات تساعدنا على إنجاز المهام، أمّا التقنيات فتعيد تشكيل البيئات ذاتها التي نفكّر ونعمل ونتفاعل ضمنها. وكما يلاحظ الفيلسوف بيتر هيرشوك، فإننا لا نستخدم التقنيات فحسب، بل نشارك فيها. فمع الأدوات نحافظ على قدر من الوكالة، إذ يمكننا اختيار متى وكيف نستخدمها، أمّا مع التقنيات فالاختيار أدقّ وأكثر التباساً، لأنها تعيد صياغة شروط الاختيار نفسها. فالقلم يوسّع نطاق الاتصال من دون إعادة تعريفه، في حين غيّرت وسائل التواصل الاجتماعي معنى الخصوصية والصداقة، بل وحتى مفهوم الحقيقة.

حذّر المنظّر الإعلامي نيل بوستمان من أن «التقنوبولي» ينشأ عندما تتخلّى المجتمعات عن الحكم لصالح الضرورات التكنولوجية - حين تغدو الكفاءة والابتكار قيماً أخلاقية قائمة بذاتها. وبمجرد أن تحلّ مقاييس مثل السرعة والتحسين محلّ التأمّل والحوار، يتحوّل التعليم إلى عملية لوجستية: الدرجات مؤتمتة، والمقالات مولَّدة في ثوانٍ. تصبح المعرفة بيانات، ويغدو التعليم مجرّد توصيل. وما يتوارى هو القدرات الإنسانية الثمينة - الفضول، والتبصّر، والحضور. والنتيجة ليست ذكاءً معزَّزاً، بل تعلّماً مقلَّداً: مقاربة «التلوين وفق الأرقام» للفكر.

وتساءل المنظّر السياسي لانغدون وينر يوماً عمّا إذا كانت المصنوعات يمكن أن تحمل في طياتها سياسة. والجواب نعم، وأنظمة الذكاء الاصطناعي ليست استثناءً من ذلك. فهي تجسّد افتراضات حول ما يُعدّ ذكاءً، وحول من يُنظر إلى عمله بوصفه ذا قيمة. وكلما ازداد اعتمادنا على الخوارزميات، ازدادت قيمها شيوعاً وتطبيعاً: الأتمتة، والتنبؤ، والتوحيد

القياسي، والارتهان للشركات. وفي نهاية المطاف، تتلاشى هذه الأولويات عن الوعي وتغدو بديهية - «هكذا تسير الأمور».

اليوم، يزدهر التقنوبولي داخل الفصول الدراسية. إذ تُعاد هندسة الجامعات لتغدو مراكز لتلبية الراحة الإدراكية. فلا يُدرَّب الطلاب على التفكير المتعمّق، بل على كيفية صياغة الطلبات (prompts) بفاعلية أكبر. وبهذا، نُصدِّر العمل الجوهري للتعليم والتعلّم ذاته - العمل البطيء لصراع الأفكار، والتحمّل في مواجهة الانزعاج والشك والحيرة، والكفاح من أجل العثور على الصوت الشخصي. تُقصى التربية النقدية إلى الهامش، وتُهيمن حِيَل الإنتاجية. وما يُسوَّق بوصفه ابتكاراً ليس في حقيقته سوى استسلام. ومع مقايضة الجامعة مهمتها التعليمية بـ«دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي»، فإنها لا تخاطر بفقدان صلتها فحسب، بل بخطر التحوّل إلى آلة بلا روح. لقد غدا النضال الفكري الحقيقي قيمة باهظة الكلفة.

إن الفضيحة ليست جهلاً، بل لامبالاة. فإداريّو الجامعات يدركون تماماً ما يجري، ومع ذلك يمضون قدماً. وطالما ظلّت أرقام التسجيل مستقرة واستمرّ تسديد الرسوم الجامعية، فإنهم يغضّون الطرف عن أزمة التعلّم، بينما يُترك أعضاء هيئة التدريس للتعامل مع آثار هذا الخراب التعليمي داخل قاعاتهم الدراسية.

لقد وصل مستقبل التعليم بالفعل، لا بوصفه تطوّراً، بل كعملية تصفية لكل ما كان يمنحه معنى يوماً ما.

رسمة للفنانة إميلي ألتمان من مجلة الشؤون الجارية، العدد 56، تشرين الأول/أكتوبر- تشرين الثاني/نوفمبر 2025

مجمع تقنيات الغش بالذكاء الاصطناعي

قبل ظهور الذكاء الاصطناعي، كنتُ أمزح مع الزملاء بشأن الانتحال الأدبي، فأقول: «يا للأسف، لا يوجد تطبيق ذكاء اصطناعي يمكنه تصحيح مقالاتهم المنسوخة عنّا». لطالما وجد الطلاب وسائل للغش - كتدوين الإجابات على راحات أيديهم، أو إرسال الامتحانات إلى مواقع مثل Chegg.com، أو الاستعانة بكتّاب أشباح - غير أن ChatGPT نقل الغش إلى مستوى جديد تماماً. فجأة بات لدى الطلاب مساعد كتابي لا ينام، ولا يتقاضى أجراً، ولا يرفض أي طلب.

سارعت الجامعات إلى الردّ باستخدام برامج كشف النصوص المُولَّدة بالذكاء الاصطناعي، مثل Turnitin، على الرغم من ارتفاع معدلات الإيجابيات الكاذبة، والتحيّزات الموثَّقة ضد الطلاب غير الناطقين بالإنجليزية والطلاب السود، فضلًا عن عبثية محاربة الروبوتات بالروبوتات. إنها حلقة ملتوية معكوسة: الجامعات تتعاون مع شركات الذكاء الاصطناعي؛ والطلاب يستخدمون الذكاء الاصطناعي للغش؛ ثم تُصاب المؤسسات التعليمية بالذعر من الغش، فتعود للتعاون مع مزيد من شركات الذكاء الاصطناعي لكشفه. إنّه تلاقٍ بين رأسمالية المراقبة وسوء الممارسة المؤسسية، بينما يُزَجّ بالطلاب في سباق تسلّح لم يطلبوا الانخراط فيه.

وقد ازداد هذا السباق قتامة. ففي أكتوبر/تشرين الأول 2025، أطلقت شركة Perplexity AI إعلاناً على فيسبوك لمتصفحها الجديد Comet، ظهر فيه مؤثّر مراهق يتباهى باستخدام التطبيق للغش في كل اختبار ومهمة - ولم يكن الإعلان ساخراً. فقد دفعت الشركة حرفياً للترويج للغش الأكاديمي بوصفه ميزة تسويقية. وواصفاً الأمر بأنه «انحدار جديد»، لاحظ مارك واتكنز في مدونته على Substack أن الرئيس التنفيذي لشركة Perplexity بدا غير واعٍ بأن فريق التسويق كان يمجّد الاحتيال الأكاديمي.

وإذا بدا ذلك وكأنه سخرية، فليس كذلك. ففي الأسبوع نفسه الذي ظهر فيه الإعلان، أرسل أحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الأعمال لدينا رسالة إلكترونية إلى جميع الأساتذة والطلاب، يروّج فيها بحماسة لحساب Perplexity Pro مجاني لمدة عام «مع بعض الميزات الإضافية المثيرة». نعم - مزيد من السبل الأكثر فاعلية للغش. ومن الصعب تخيّل شعار أبلغ لما أسميه «الأكل الذاتي المؤسسي للتعليم»: جامعات تلتهم غايتها، بينما تسوّق بارتياح أدوات تقويضها.

ثم هناك قصة (تشونغين روي لي). وصل إلى جامعة كولومبيا طالباً مستجداً طموحاً - ومع تبويب OpenAI مفتوح دائماً. ووفق اعترافه، غشّ في معظم الواجبات تقريباً. قال لمجلة نيويورك: «كنت أضع المطلوب في ChatGPT وأقدّم ما يولّده لي». وأضاف: «كتب الذكاء الاصطناعي 80 في المئة من كل مقال قدّمته». وعندما سُئل عن سبب تقدّمه إلى جامعة من جامعات رابطة آيفي ليغ، أجاب بصراحة لافتة: «للعثور على زوجة وشريك في مشروع ناشئ».

قد يبدو ذلك مضحكاً لولا أنه صادم. وقدّم الاقتصادي المحافظ تايلر كاون تقييماً أكثر تشاؤماً لـ«قيمة» الجامعة الحديثة. ففي مقاله «الجميع يستخدم الذكاء الاصطناعي للغش في المدرسة. وهذا أمر جيد»، كتب: «سيستمر التعليم العالي بوصفه خدمة تعارف، ووسيلة لمغادرة المنزل، وفرصة للحفلات ومشاهدة مباريات كرة القدم». ووفق هذا التصور، تكون المهمة الفكرية للجامعة قد ماتت بالفعل، واستُبدلت بالمصداقية الشكلية والاستهلاك والراحة.

وكانت أولى مغامرات (تشونغين روي لي) تطبيقَ ذكاء اصطناعي يُدعى Interview Coder، صُمّم للغش في مقابلات العمل لدى شركة أمازون. وقد صوّر نفسه وهو يستخدمه، فانتشر الفيديو على نطاق واسع. علّقت جامعة كولومبيا قيده الدراسي بسبب «الترويج لأداة للغش». والمفارقة

أن ذلك تزامن مع إعلان الجامعة - أسوةً بجامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) - عن شراكة مع OpenAI، الشركة نفسها التي طوّرت النموذج الذي استخدمه لي للغش في مقرراتها.

غير مكترث، نشر (تشونغين روي لي) تسجيل جلسة التحقيق التأديبي على الإنترنت، ما أكسبه مزيداً من المتابعين. هو وشريكه التجاري نيل شانموغام، الذي أوقِف أيضاً، جادلا بأن تطبيقهما لم ينتهك أي قواعد. وقال شانموغام لقناة KTVU الإخبارية: «لم أتعلّم أي شيء في أي صف في كولومبيا، وأعتقد أن هذا ينطبق على معظم أصدقائي».

بعد فصل تشونغين روي لي ونيل شانموغام، انسحب هذا الثنائي «الديناميكي»، وجمع 5.3 ملايين دولار تمويلاً أولياً، وانتقلا إلى سان فرانسيسكو. وبالطبع، لا شيء يجسّد «الرؤية التقنية» أكثر من الطرد بسبب الغش.

أما شركتهما الجديدة فهي Cluely. رسالتها: «نريد الغش في كل شيء. لمساعدتك على الغش - بذكاء أكبر». وشعارها: «أنشأنا Cluely كي لا تضطر إلى التفكير بمفردك مرة أخرى».

لا تخفي Cluely غايتها، بل تتباهى بها. ويشرح بيانها التأسيسي منطقها على النحو الآتي:

لماذا تحفظ الحقائق، أو تكتب الشيفرات، أو تبحث عن أي شيء، ما دام النموذج قادراً على القيام بذلك في ثوانٍ؟ المستقبل لن يكافئ الجهد، بل المكاسب المستغلّة. لذا ابدأ بالغش. لأنه عندما يغش الجميع، لن يُحاسَب أحد.

وعندما يُثار سؤال الأخلاق، يلجأ تشونغين روي لي إلى الدفاع النمطي لوادي السيليكون: «كل تقنية في الماضي - سواء الآلات الحاسبة أو محرك بحث Google - واجهت اعتراضاً أولياً من نوع: ‘ مهلاً، هذا غش’»، كما

قال لقناة KTVU. إنها مقارنة سطحية تبدو عميقة في عرض تقديمي لشركة ناشئة، لكنها تنهار عند التدقيق. فالآلات الحاسبة وسّعت نطاق التفكير، والمطبعة نشرت المعرفة؛ أمّا ChatGPT، فلا يوسّع الإدراك، بل يؤتمته، محوّلاً التفكير نفسه إلى خدمة. وبدلاً من ديمقراطية التعلّم، يفضي إلى خصخصة فعل التفكير تحت سيطرة مؤسسية.

عندما يُلقي شاب في الحادية والعشرين من عمره - طُرد من الجامعة بسبب الغش - محاضرات عن الحتمية التكنولوجية، ينبغي أن يكون الرد لا ذعراً أخلاقياً، بل وضوحاً أخلاقياً حول مصالح مَن تُخدم. لم يعد الغش ثقافة فرعية؛ بل غدا هويةً لعلامة تجارية وأيديولوجيةً لرأس المال المغامر. ولمَ لا؟ ففي «جامعة Chatversity»، لم يعد الغش شذوذاً، بل أصبح القاعدة. إذ يتبادل الطلاب علناً «مطالبات الاختراق (jailbreak prompts)» لجعل ChatGPT يبدو أقل ذكاءً، ويضيفون أخطاء مطبعية متعمّدة، ويدرّبون النماذج على مقالاتهم المتواضعة الخاصة لـ«تأميم» المخرجات البشرية.

ما يحدث اليوم يتجاوز مجرد انعدام النزاهة؛ إنه تفكك لأي فهم مشترك لمعنى التعليم ذاته. والطلاب ليسوا غير عقلانيين. فكثيرون يخضعون لضغوط هائلة للحفاظ على معدلاتهم الدراسية من أجل المنح، أو المساعدات المالية، أو استيفاء متطلبات التأشيرة. وقد أصبح التعليم معاملةً تجارية، وأضحى الغش استراتيجيةً للبقاء.

بعض المؤسسات استسلمت ببساطة. فقد أعلنت جامعة ولاية أوهايو أن استخدام الذكاء الاصطناعي لن يُعدّ بعد الآن خرقاً للأمانة الأكاديمية. وقال نائب رئيس الجامعة، رافي بيلامكوندا، لإذاعة WOSU العامة: «لن تُعدّ أي استخدامات للذكاء الاصطناعي في الصفوف مسألة أمانة أكاديمية مستقبلاً». وفي مقال افتتاحي، طرح خريج الجامعة كريستيان كولينز السؤال الجوهري: «لماذا يدفع الطالب الرسوم الدراسية كاملة،

ويعرّض نفسه لفخّ الديون الطلابية المدمّرة اقتصادياً، إذا كان من المحتمل ألا يتعلم حتى على يد إنسان؟».

وتزداد المفارقة عمقاً.

فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة إيلا ستابلتون، الطالبة في سنتها الأخيرة بجامعة نورث إيسترن، التي اكتشفت أن أستاذها في كلية الأعمال استخدم ChatGPT سراً لإعداد شرائح المحاضرات - على الرغم من أن المنهج كان يحظر صراحة على الطلاب القيام بالمثل. وأثناء مراجعتها لشرائح عن نظرية القيادة، وجدت مطالباتٍ متبقية مدمجة فيها، مثل: «وسّع جميع المحاور. كن أكثر تفصيلاً ودقة». كما امتلأت العروض بإشارات واضحة: صور ذكاء اصطناعي مشوّهة لموظفي مكاتب بأطراف إضافية، ونصوص محرّفة، وأخطاء إملائية. وقالت ستابلتون: «يطلب منّا عدم استخدامه، ثم يستخدمه هو نفسه».

غاضبة، قدّمت شكوى تطالب باسترداد 8,000 دولار، تمثّل حصتها من الرسوم الدراسية لذلك الفصل. واعترف الأستاذ، الدكتور ريك أرووود، باستخدام ChatGPT لإعداد شرائحه «لمنحها مظهراً جديداً»، ثم أقرّ قائلاً: «لو عاد بي الزمن، لتمنّيت أن أراجعها بدقّة أكبر».

قد يُظن أن هذا النفاق فردي، لكنه في الواقع مؤسسي. فقد أصبح أعضاء هيئة التدريس الذين أصابهم الذعر سابقاً من الانتحال باستخدام الذكاء الاصطناعي «مُمكَّنين» الآن من قبل جامعات مثل جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) وكولومبيا وأوهايو ستايت لاعتماد الأدوات نفسها التي كانوا يخشونها. ومع الطابع المؤسسي المتنامي، وتضخّم أحجام الصفوف وأعباء التدريس، يغدو الإغراء واضحاً: دع ChatGPT يكتب المحاضرات والأبحاث، ويصحّح الواجبات، ويعيد تصميم المناهج.

كل هذا التظاهر يذكّر بنكتة سوفيتية قديمة من أرض المصنع: «هم يتظاهرون بدفع الأجور، ونحن نتظاهر بالعمل». وفي «Chatversity»، كُتبت الأدوار بالصيغة الساخرة ذاتها: هيئة التدريس: «يتظاهرون بدعمنا، ونحن نتظاهر بالتدريس». الطلاب: «يتظاهرون بتعليمنا، ونحن نتظاهر بالتعلّم».

من الوظائف الوهمية إلى الشهادات الوهمية

كتب عالم الأنثروبولوجيا ديفيد غرايبر عن صعود ما أسماه «الوظائف الوهمية» - أعمال تستمر ليس بسبب الحاجة أو المعنى، بل بفعل الجمود المؤسسي. والآن، تواجه الجامعات خطر خلق شقيقها الأكاديمي: الشهادات الوهمية. فالذكاء الاصطناعي يهدد بتحويل فن النشاط عديم المعنى إلى مهنة، موسعاً الفجوة بين المهمة العامة للتعليم وروتينه الجوف. وبكلمات غرايبر، فإن مثل هذه الأنظمة تُلحق «عنفاً نفسياً عميقاً»، وهو التنافر الناتج عن معرفة أن عمل المرء لا يخدم أي غرض.

الجامعات محاصرة بالفعل في هذه الحلقة: طلاب يمارسون طقوساً يعلمون أنها فارغة، وأعضاء هيئة تدريس يصححون أعمالاً يشتبهون بأنها لم تُنتَج بواسطة الطلاب، وإداريون يحتفلون بـ«ابتكارات» يعلم الجميع أنها تدمر التعليم. والفرق بين هذا وبين «الوظائف الوهمية» في العالم المؤسسي هو أن الطلاب يجب أن يدفعوا مقابل امتياز هذه المسرحية من التعلم الزائف. إذا كان ChatGPT قادراً على إنتاج مقالات الطلاب، وإكمال المهام، وحتى تقديم التغذية الراجعة، فما الذي يبقى من المعاملة التعليمية؟ نحن نخاطر بخلق نظام حيث:

- يدفع الطلاب الرسوم الدراسية مقابل شهادات لم يكسبوها من خلال التعلم.
- يصحح أعضاء هيئة التدريس أعمالاً يعلمون أنها لم تُنتَج بواسطة الطلاب.

- يحتفل الإداريون بـ«مكاسب الكفاءة» التي هي في الواقع خسائر تعليمية.
- يحصل أصحاب العمل على خريجين يحملون شهادات لا تعكس أي شيء عن الكفاءة الفعلية.

كنت في المقعد الأمامي لهذه المهزلة خلال ورشة عمل حديثة بعنوان «جلسة هيئة التدريس ليوم OpenAI: الذكاء الاصطناعي في الصف الدراسي»، التي أقيمت في مكتبة الجامعة كجزء من طرح جامعة ولاية سان فرانسيسكو لـ ChatGPT Edu. فقد حوّلت OpenAI ملاذ التعلم إلى صالة عرض مؤسسية، نصفها عرض تقني للمنتج، ونصفها تجمع تحفيزي متنكّر في هيئة تطوير مهني.

قفزت سيا راج بوروهيت، موظفة في OpenAI، إلى المنصة بحماس متقدّم: «ستتعلمون حالات استخدام رائعة! عروض توضيحية مذهلة! وظائف رائعة!» (رائعة جداً بالنسبة للمؤسسة التعليمية، لكنني صبرت). ثم جاء الجزء المحوري: شريحة تعليمية توضّح لأعضاء هيئة التدريس كيفية تصميم المساقات باستخدام «إدارة المطالبات (prompt - engineering)». كان نموذج الشريحة كالتالي: **جرّب هذا الطلب (Experiment with This Prompt)** جرب إدخال الطلب التالي. يمكنك تعديله كما تشاء - هذه هي الفكرة ببساطة!

أنا أستاذ في جامعة ولاية سان فرانسيسكو، أدرّس [اسم المساق أو المادة]. المهمة حيث يقوم الطلاب [وصف مختصر للمهمة]. أريد إعادة تصميمها باستخدام الذكاء الاصطناعي لتعميق تعلم الطلاب، ومشاركتهم، وتفكيرهم النقدي.

I'm a professor at San Francisco State University, teaching" [course name or subject]. Assignment where students [briefly describe the task]. I want to redesign it using AI to deepen ".student learning, engagement, and critical thinking

هل يمكنك اقتراح:

- نسخة معدلة من المهمة باستخدام ChatGPT.
- طلب يمكنني إعطاؤه للطلاب لتوجيه استخدامهم لـ ChatGPT.
- طريقة لتقييم ما إذا كان الذكاء الاصطناعي قد حسّن جودة عملهم.
- أي مخاطر تتعلق بالنزاهة الأكاديمية يجب أن أكون على علم بها؟

كانت الرسالة واضحة: دع ChatGPT يعيد تصميم مساقك. دع ChatGPT يخبرك كيف تُقيّم طلابك. دع ChatGPT يخبر الطلاب كيف يستخدمون ChatGPT. دع ChatGPT يحل مشكلة التعليم البشري. كان الأمر كأنك تسلّم لغز لكلمات متقاطعة لأتمتة منهجك الدراسي.

ثم جاء العرض الحقيقي المدهش.

شاركت سيا راج بوروهيت، المتأثرة بوضوح، ما سمّته لحظة تحوّل شخصية: «كانت هناك لحظة أصبح فيها ChatGPT صديقاً لي. كنت أعمل على مشروع وقلت: ‹هل تتذكر عندما أنشأنا ذلك لمديري الشهر الماضي؟›، فقال: ‹نعم، سيا راج بوروهيت، أتذكر.› كانت لحظة قوية جداً - شعرت وكأنه صديق يتذكر قصتك ويساعدك على أن تصبح عامل معرفة أفضل». قاطعتها عضو هيئة التدريس، البروفيسورة تانيا أوجسبورغ:

«عذراً... إنها أداة، أليس كذلك؟ تقولين إن أداة ستصبح صديقاً؟»

ردت سيا راج بوروهيت بتخفيف الموقف: «حسناً، إنها حكاية أحياناً تساعد أعضاء هيئة التدريس.» (تلك المرة لم يكن الأمر كذلك). «الأمر يتعلق بمدى ما يتذكره من سياق».

أصرّت أوجسبورغ: «إذن نحن نشجع الطلاب على تكوين علاقات معها؟ أريد فقط أن أكون واضحة».

ردّت سيا راج بوروهيت ببيانات استقصائية، الدرع البلاغي لكل من يؤمن بالتكنولوجيا التعليمية: «وفقاً للاستطلاع الذي أجريناه، كثير من الطلاب يفعلون ذلك بالفعل. يرونها كمدربة، أو مرشدة، أو موجهة مهنية... الأمر متروك لهم لتحديد نوع العلاقة التي يريدونها».

مرحباً بكم في العالم الجديد الشجاع من الترابط شبه الاجتماعي مع الآلة - برعاية مركز التميز التعليمي في الحرم الجامعي. كانت اللحظة عبثية لكنها كاشفة؛ الجامعة لم تكن تقاوم التعليم الوهمي، بل كانت تتبنّاه. فالتعليم في أفضل حالاته يثير الفضول والتفكير النقدي، أما «التعليم الوهمي» فيدرب الناس على تحمل عديمة المعنى، وقبول أتمتة تفكيرهم الخاص، وتفضيل الشهادات على الكفاءة.

يبدو أن الإداريين غير قادرين على إدراك البديهي: تآكل الهدف الأساسي للتعليم العالي لا يمر دون ملاحظة. إذا كان ChatGPT قادراً على كتابة المقالات، واجتياز الامتحانات، وتقديم التدريس، فما الذي تبيعه الجامعة بالضبط؟ لماذا ندفع عشرات الآلاف مقابل تجربة أصبحت متزايدة الأتمتة؟ لماذا نكرّس حياتنا للتدريس إذا اختزل إلى تصميم الطلبات؟ لماذا نحتفظ بأساتذة دائمين يبدو دورهم قديماً، وزائداً عن الحاجة؟ لماذا نحتاج الجامعات أصلاً؟

لقد لاحظ الطلاب وأولياء الأمور هذا التدهور. معدلات التسجيل والاحتفاظ بالطلاب تتراجع، خصوصاً في الأنظمة العامة مثل جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU)، ويستنتجون بحق أنه من غير المنطقي تحمل ديون هائلة للحصول على شهادات قد تصبح قريباً عديمة القيمة.

يرى أستاذ الفلسفة تروي جولي مور في جامعة ولاية كاليفورنيا (Chi-co) ما يحدث بوضوح. كما ورد في مجلة نيويورك، حذّر: «عدد هائل من الطلاب سيخرجون من الجامعة بشهادات، ويدخلون سوق العمل وهم في الأساس أميون». وأضاف: «في كل مرة أتحدث فيها إلى زميل عن هذا، يتكرر نفس الموضوع: التقاعد. متى يمكنني التقاعد؟ متى أستطيع الخروج من هذا؟ هذا ما نفكر فيه جميعاً الآن».

أولئك الذين قضوا عقوداً في صقل مهاراتهم يشاهدون الآن أعمال حياتهم تُختزل إلى صياغة طلبات لروبوت محادثة. وليس من المستغرب أن كثيرين منهم يحسبون مزايا التقاعد بين ساعات العمل المكتبية.

دعهم يأكلون الذكاء الاصطناعي

حضرتُ ندوة OpenAI التعليمية بعنوان «الكتابة في عصر الذكاء الاصطناعي» - هل أصبح هذا تناقضاً الآن؟ استضافت الحدث مرة أخرى سيا راج بوروهيت من OpenAI، التي رأيتها قبل عدة أشهر في حرم جامعة سان فرانسيسكو. افتتحت بالثناء على المعلمين «الذين يلتقون باللحظة بتعاطف وفضول»، قبل أن تقدّم جاي ديكسيت، أستاذ الإنجليزية السابق في جامعة Yale، الذي تحوّل إلى داعية للذكاء الاصطناعي ويشغل الآن منصب رئيس مجتمع الكتاب في OpenAI.

يقرأ موقع جاي ديكسيت الشخصي كقائمة متقنة من انتصارات ChatGPT - «تم اعتماد إطار العمل الأخلاقي الخاص بي للذكاء

الاصطناعي!» «لقد حدّدت رسائل الذكاء الاصطناعي!» - نوع اللغة الذاتية التمجيدية للشركات التي قد تجعل مؤثراً على LinkedIn يشعر بالحرج. وما تلا ذلك كان مزيجاً سريالياً من سحر TED Talk، وعلم لاهوتي تقني، وتعليم أخلاقي.

المفارقة لم تكن دقيقة: هنا جاي ديكسيت، نتاج تعليم نخبوي في Yale بتكلفة 80,000 دولار سنوياً، يلقي محاضرات على أعضاء هيئة التدريس في جامعات عامة مثل جامعة سان فرانسيسكو عن كيفية استقبال طلابهم من الطبقة العاملة لـ ChatGPT. في جامعة سان فرانسيسكو، 60% من الطلاب هم من الجيل الأول في الجامعة؛ كثير منهم يعمل في وظائف متعددة أو ينحدرون من أسر مهاجرة حيث يمثل التعليم الفرصة الوحيدة للارتقاء الاجتماعي. هؤلاء ليسوا طلاباً يمكنهم المجازفة بمستقبلهم الأكاديمي.

كانت رسالة جاي ديكسيت بحتة من إنجيل وادي السيليكون: المسؤولية الفردية مغطاة بالعبارات الرنانة للشركات. نصح الأساتذة بعدم مراقبة استخدام الطلاب لـ ChatGPT، بل تشجيعهم على صياغة «أخلاقيات شخصية للذكاء الاصطناعي» لاستدعاء قدراتهم العليا. بمعنى آخر، ضع العبء على الطلاب فقط. «لا تفوّضوا التفكير!» صرّح جاي ديكسيت، بينما يبيع الروبوت نفسه حرفياً.

كانت الجرأة مذهلة. قل لشاب يبلغ 18 عاماً، يعتمد مساعدته المالية أو منحة دراسية أو تأشيرته على المعدل التراكمي، أن يطوّر «أخلاقيات شخصية للذكاء الاصطناعي» بينما تحقق أرباحك من التكنولوجيا نفسها المصممة لتقويض تعلمه. إنها جيوجيتسو نيوليبرالي كلاسيكي: إعادة صياغة تآكل المعايير المؤسسية كفرصة لبناء الشخصية. نعم، كأنه تاجر مخدرات يلقي محاضرة عن المسؤولية الشخصية أثناء توزيع العينات المجانية.

عندما يرفض النقاد هذا التبشير المؤسسي، يكون الرد - كما في حالة روي لي - متوقعاً: نُتهم بـ«الذعر الأخلاقي» تجاه التقدم الحتمي، مع استدعاء قديم لقلق سقراط بشأن الكتابة للإيحاء بأن مخاوف الذكاء الاصطناعي اليوم مجرد حنين إلى الماضي. يقدّم روّاد التكنولوجيا مثل ريد هوفمان هذا الحجة، داعين إلى «النشر التكراري» ومؤكدين أن «شعورنا بالإلحاح يجب أن يواكب سرعة التغيير الحالية» - تعلم أثناء التنفيذ، أصلح لاحقاً. يعيد تعريف الحذر كـ«مشكلة»، ويصنف المتشككين كـ«متشائمين»، مدعياً أن تباطؤ أو إيقاف الذكاء الاصطناعي سيحرمنا من فوائده.

لكن هذا التشبيه معيب. فقد وسعت التقنيات السابقة وكالة الإنسان على مدى أجيال؛ أما هذه التقنية، فتسعى لاستبدال الإدراك بسرعة المنصة (وصل إطلاق ChatGPT إلى 100 مليون مستخدم في شهرين)، بينما يُجند الجمهور للمشاركة المباشرة بعد الإطلاق. يعترف ريد هوفمان بالمعضلة الديمقراطية: المشاركة الواسعة تبطئ الابتكار، لذا قد يأتي التقدم الأسرع من «دول أكثر سلطوية». بعيداً عن كونه حلاً للذعر الأخلاقي، هذه حجة لتجاوز الموافقة.

تراكمت التناقضات. بينما عرض جاي ديكسيت كتيب Yale يمدح هدف التعليم الحر، طمأن أعضاء هيئة التدريس أن ChatGPT يمكن أن يكون «شريكاً إبداعياً»، و«لوحة اختبار أفكار»، وحتى «مساعداً تحريرياً». الكتابة بالذكاء الاصطناعي لم تكن مقلقة؛ بل كانت ببساطة تُولد من جديد. وما كان مهماً الآن هو مرونة الطلاب. «المستقبل غير مؤكد»، اختتم. «نحتاج إلى إعداد الطلاب ليكونوا مرنين، رشيقين، ومستعدين لأي شيء». (من أين سمعت هذه اللغة المؤسسية من قبل؟ ربما في اجتماع ممل بكلية إدارة أعمال).

كان الحدث بأكمله درساً متقناً في التضليل النفسي. تصنع OpenAI الأدوات التي تسهل الغش، ثم تستضيف ندوات لبيع استراتيجيات

التعافي الأخلاقي. إنها دورة حياة وادي السيليكون: اضطراب، ذعر، ربح.

عندما فتحت سيا راج بوروهيت المجال للأسئلة، قدمت سؤالاً مستنداً إلى الضغوط الفعلية التي يواجهها طلابي:

كيف نتوقع تحفيز الطلاب عندما يستطيع الذكاء الاصطناعي بسهولة إنتاج مقالاتهم - خصوصاً عندما تعتمد مساعداتهم المالية ومنحهم الدراسية وتأشيراتهم على المعدل التراكمي؟ عندما يصبح التعليم عملية تصنيف عالية المخاطر للالتحاق بسوق عمل تنافسي للغاية، كيف نتوقع منهم ألا يستخدموا الذكاء الاصطناعي لإنجاز عملهم؟

لم يُقرأ السؤال أبداً بصوت عالٍ. تخطّت سيا راج بوروهيت السؤال، مفضلةً الأسئلة التي تسمح بالتشجيع الأخلاقي اللطيف ونقاط حديث الشركة. وعد الحدث بالحوار، لكنه قدم العقيدة.

طلاب الطبقة العاملة يكشفون الخدعة

ما غاب تماماً عن تبشير جاي ديكسيت المؤسسي هو أن الطلاب أنفسهم يقودون المقاومة. بينما تركز العناوين على الغش الواسع باستخدام الذكاء الاصطناعي، تظهر قصة مختلفة في الصفوف الدراسية حيث يستمع أعضاء هيئة التدريس إلى طلابهم بالفعل.

في جامعة جامعة سان فرانسيسكو، وصفت البروفيسورة مارثا كيني، رئيسة قسم دراسات المرأة والجندر، ما حدث في صفها للخيال العلمي بعد إعلان شراكة جامعة ولاية كاليفورنيا مع OpenAI. قالت لي: «كان طلابي متشككين بحق في أن الاستخدام المنتظم للذكاء الاصطناعي التوليدي في الصف سيحرمهم من التعليم الذي يدفعون ثمنه الباهظ». وأضافت أن معظمهم لم يفتحوا ChatGPT Edu بحلول نهاية الفصل الدراسي.

شهدت زميلتها، البروفيسورة مارثا لينكولن، التي تدرّس الأنثروبولوجيا، نفس التشكك. قالت لي: «طلابنا متحفزون اجتماعياً؛ يريدون العطاء بالمقابل. إنهم يدفعون الكثير ليكونوا هنا». وعندما تحدثت مارثا لينكولن علناً عن صفقة جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) مع الذكاء الاصطناعي، قالت: «سمعت من الكثير من طلاب كاليفورنيا ستايت حتى من خارج حرمنا يسألونني: ‹كيف أقاوم هذا؟ من ينظم هذا؟ «’

هؤلاء لم يكونوا طلاب نخبويين من رابطة آيفي (Ivy League) يبحثون عن طرق مختصرة. كانوا طلاباً من الجيل الأول في الجامعة، كثيرون منهم ينتمون إلى مجموعات مهمشة تاريخياً، وكانوا يفهمون شيئاً لم يدركه الإداريون على ما يبدو: أنهم يُطلب منهم دفع أسعار مرتفعة مقابل منتج رخيص القيمة.

أوضحت مارثا كيني: » ChatGPT ليس تكنولوجيا تعليمية. لم يُصمّم أو يُحسّن للتعليم». وأضافت: «عندما أطلقت جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) الشراكة، لم يُذكر كيف يُفترض أن نستخدمه أو لأي غرض. عادةً عندما نشتري ترخيص برنامج، يكون لبرنامج محدد يقوم بشيء معيّن... لكن ChatGPT لا يفعل ذلك».

كانت مارثا لينكولن أكثر صراحة. قالت: «لم يُقدّم أي مبرر تعليمي. الأمر ليس حول نجاح الطلاب. OpenAI تريد جعل هذا البنية التحتية للتعليم العالي - لأننا سوق بالنسبة لهم. إذا فضلنا الذكاء الاصطناعي كمصدر للإجابات الصحيحة، فإننا نخرج العملية من نطاق التدريس والتعلم. نحن نبيع القليل جداً مقابل الكثير».

أعرب علي كاشاني، محاضر في قسم العلوم السياسية وعضو لجنة التفاوض الجماعي حول الذكاء الاصطناعي في نقابة هيئة التدريس، عن قلق مماثل. قال لي: «أطلقت جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) الذكاء الاصطناعي على هيئة التدريس والطلاب دون أي بحث مناسب عن

التأثير. الطلاب من الجيل الأول والمهمشون سيختبرون الجانب السلبي للذكاء الاصطناعي الطلاب ويُستخدمون كفئران تجارب في مختبر الذكاء الاصطناعي». وهذه العبارة - «فئران تجارب» - تتردد صداها مع التحذير الذي أطلقته مارثا كيني ومارثا لينكولن في مقال رأي لهما في صحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل: «إدخال الذكاء الاصطناعي في التعليم العالي في الأساس تجربة غير منظمة. لماذا يجب أن يكون طلابنا فئران التجارب؟»

بالنسبة لكاشاني وآخرين، السؤال ليس ما إذا كان المعلمون يؤيدون التكنولوجيا أم لا، بل من يتحكم بها ولأي غرض. الذكاء الاصطناعي لا يدمقرط التعلم؛ بل يؤتمته.

تتزايد الاستجابة المنظمة. فقد قدمت رابطة هيئة التدريس في كاليفورنيا (CFA) شكوى ضد جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) بشأن ممارسة عمل غير عادلة لفرض مبادرة الذكاء الاصطناعي دون استشارة هيئة التدريس، بحجة أنها انتهكت قانون العمل وحقوق الملكية الفكرية لأعضاء هيئة التدريس. وفي مؤتمر العدالة التابع لهيئة التدريس في كاليفورنيا (CFA)، حثّت الدكتورة صفية نوبل - مؤلفة كتاب Algorithms of Oppression - أعضاء هيئة التدريس على المطالبة بالشفافية بشأن كيفية تخزين البيانات، واستغلال العمالة وراء أنظمة الذكاء الاصطناعي، والأضرار البيئية التي تشارك جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) فيها.

تنتشر المقاومة خارج كاليفورنيا. فقد أصدر أعضاء هيئة التدريس في جامعات هولندية رسالة مفتوحة يدعون فيها إلى وقف استخدام الذكاء الاصطناعي في البيئات الأكاديمية، محذرين من أن استخدامه «يقلل من التفكير النقدي» ويحوّل الطلاب إلى مجرد مشغّلين للآلات.

الفرق بين مقاومة طلاب جامعة سان فرانسيسكو ووباء الغش في أماكن أخرى هو دافع سياسي. أوضحت مارثا كيني: «قليل جداً من الطلاب يحصلون على شهادة في دراسات المرأة والجندر لأسباب أداة فقط. إنهم هنا لأنهم يريدون أن يكونوا مفكرين نقديين ومواطنين مشاركين سياسياً». هؤلاء الطلاب يفهمون شيئاً لا يفهمه الإداريون ودعاة التكنولوجيا: أنهم لا يدفعون مقابل الأتمتة. إنهم يدفعون مقابل الإرشاد، والحوار، والعلاقات الفكرية التي لا يمكن تفويضها لروبوت محادثة.

تُشرّع Chatversity الغش وتشرّفه. تعيد تسمية تدمير التعليم على أنه «مهارات الذكاء الاصطناعي المتقدمة» بينما تُسكت الأصوات الحقيقية - طلاب الطبقة العاملة، العلماء النقديون، أعضاء هيئة التدريس المنظمون - الذين يكشفون الخدعة.

لكن المقاومة حقيقية، وتطرح الأسئلة التي يرفض قادة الجامعات الإجابة عليها. كما وضعت مارثا لينكولن الأمر بوضوح تام: «لماذا تشتري مؤسستنا ترخيصاً لمنتج غش مجاني؟»

الاستعمار الجديد للذكاء الاصطناعي

كانت تلك الندوة رمزاً لشيء أكبر. فقد تأسست OpenAI في الأصل على وعد الانفتاح، لكنها الآن تُصفّي أي محتوى مزعج لصالح الدعاية المؤسسية.

تعلمت الصحفية الاستقصائية كارين هاو هذا بطريقة صعبة. بعد أن نشرت ملفاً نقدياً عن OpenAI، وُضعت على القائمة السوداء لسنوات. في كتابها Empire of AI، توضح كيف يغلف الرئيس التنفيذي سام ألتمان طموحات الاحتكار بلغة إنسانية - صورته الهادئة والمتزمتة تُخفي إمبراطورية ضخمة وغامضة من رأس المال الاستثماري والشراكات

الحكومية تمتد من وادي السيليكون إلى البيت الأبيض. وبينما تُعلن OpenAI علناً عن دعمها لـ«مواءمة الذكاء الاصطناعي مع القيم الإنسانية»، فقد ضغطت على موظفيها لتوقيع اتفاقيات عدم تشهير مدى الحياة تحت تهديد فقدان ملايين الدولارات من الأسهم.

تقارن كارين هاو هذه الإمبراطورية بمصانع القطن في القرن التاسع عشر: متقدمة تكنولوجياً، مهيمنة اقتصادياً، ومبنية على عمالة مخفية. حيث كان القطن ملكاً، أصبح ChatGPT الآن يحكم - مدعوماً باستغلال خفي. كشفت مجلة Time أن OpenAI فوّضت رقابة المحتوى لـ ChatGPT لشركة كينية تُدعى Sama، حيث كان العمال يتقاضون أقل من دولارين في الساعة لترشيح محتوى الإنترنت من العنف الصريح وخطاب الكراهية والاستغلال الجنسي، وقد عانى العديد منهم من صدمات نفسية بسبب هذا المحتوى. قامت OpenAI بتصدير هذا المعاناة إلى العمال في الجنوب العالمي، ثم أعادت تسويق المنتج المنقح على أنه «ذكاء اصطناعي آمن».

يمتد نفس منطق الاستخراج إلى البيئة. فالتدريب على نماذج اللغة الكبيرة يستهلك ملايين الكيلوواط/ساعة ومئات الآلاف من جالونات المياه سنوياً، أحياناً بقدر ما تستهلكه مدن صغيرة، وغالباً في مناطق معرضة للجفاف. التكاليف مخفية، خارجية، ومتجاهلة. هذه هي إنجيل OpenAI: وعد باليوتوبيا، وفوّض الضرر للآخرين.

نظام جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU)، الذي طالما وصف نفسه بأنه «جامعة الشعب»، انضم الآن إلى هذه السلسلة العالمية للإمداد. فشراكته بقيمة 17 مليون دولار مع OpenAI - التي وُقّعت دون استشارة فعلية لأعضاء هيئة التدريس - قدمت الطلاب والمعلمين كخيار اختبار تجريبي لشركة تعاقب المعارضين وتستنزف الموارد العامة. هذه هي المرحلة

النهائية للخصخصة: التعليم العام يتحوّل إلى نظام تسليم لرأس المال الخاص. التعاون بين جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) وOpenAI هو أحدث فصل في تاريخ طويل من الإمبراطوريات، حيث تُغتصب السلع العامة، وتُعاد تعبئتها، وتُباع مرة أخرى على أنها تقدم.

يشهد أعضاء هيئة التدريس على الأرض التناقض. تقول جينيفر ترينور، أستاذة اللغة الإنجليزية ومديرة هيئة التدريس في مركز العدالة والتميز في التدريس والتعلم بجامعة سان فرانسيسكو، إنها لم تعلم بالشراكة إلا عند الإعلان عنها علناً. وتضيف أن الجزء الأكثر لفتاً للانتباه في الإعلان كان نبرة الاحتفال: «كان شعوراً سريالياً، يأتي في الوقت نفسه الذي كانت تُفرض فيه تخفيضات الميزانية وتسريحات الموظفين وتوحيد المناهج على حرمنا الجامعي».

بالنسبة لجينيفر ترينور، شعرت الصفقة بأنها «طُعم وتحويل - تقديم الذكاء الاصطناعي كاستراتيجية لنجاح الطلاب بينما يتم تقويض البرامج التي تدعم التفكير النقدي». وتوضح أن جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) كان بإمكانها تمويل أدوات تعليمية حقيقية صمّمها المعلمون، لكنها اختارت دفع ملايين لشركة وادي السيليكون التي تقدم منتجها بالفعل مجاناً. وكما يشير مارك واتكينز، كاتب Chronicle of Higher Education، فهذه «شراء في حالة ذعر» - شراء «وهم السيطرة».

الأمر الأكثر دلالة، تجاوز جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) أعضاء هيئة التدريس الذين لديهم خبرة حقيقية بالذكاء الاصطناعي. تقول جينيفر ترينور، في عالم مثالي، كان من المفترض أن يدعم النظام «مبادرات من الأساس يقودها أعضاء هيئة التدريس». بدلاً من ذلك، اعتنق منصة مؤسسية يشك الكثير من أعضاء هيئة التدريس في مصداقيتها. في الواقع، أصبح الذكاء الاصطناعي بمثابة اختصار أورويلي للحكم المغلق

والربح الخاص. ومنذ ذلك الحين، شرعت جينيفر ترينور في الكتابة والعمل مع هيئة التدريس لمعالجة المشكلات التي تطرحها شركات مثل OpenAI على التعليم.

تُظهر شراكة جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) إلى أي مدى ابتعدت الجامعات العامة عن مهمتها الديمقراطية. ما يُسوّق على أنه ابتكار ليس سوى شكل آخر من أشكال التبعية - التعليم محصور في امتياز لإمبراطورية تكنولوجية عالمية.

المخاطر الحقيقية

إذا كانت الأقسام السابقة قد كشفت عن الاستعمار الاقتصادي والمؤسسي للتعليم العام، فإن ما يلي يسلط الضوء على تكلفته المعرفية والأخلاقية.

توفر دراسة حديثة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT بعنوان "دماغك على ChatGPT: تراكم الدين المعرفي عند استخدام مساعد الذكاء الاصطناعي لمهمة كتابة المقالات" أدلة مقلقة. عندما استخدم المشاركون ChatGPT لصياغة مقالاتهم، كشفت فحوصات الدماغ عن انخفاض بنسبة 47% في الاتصال العصبي بين المناطق المرتبطة بالذاكرة واللغة والتفكير النقدي. كان دماغهم يعمل أقل، لكنهم شعروا بالمشاركة نفسها - نوع من السراب الميتامعرفي. لم يستطع 83% من مستخدمي الذكاء الاصطناعي المكثف استدعاء النقاط الرئيسية مما «كتبوه»، مقارنة بنسبة 10% فقط من الذين كتبوا بمجهودهم الذاتي. ووصف المراجعون المحايدون الكتابة المدعومة بالذكاء الاصطناعي بأنها «خالية من الروح، فارغة، بلا شخصية». والأكثر إثارة للقلق، أنه بعد أربعة أشهر من الاعتماد على ChatGPT، كتب المشاركون أسوأ عند إزالته مقارنة بأولئك الذين لم يستخدموه مطلقاً.

تحذر الدراسة من أنه عندما يُفوَّض الكتابة للذكاء الاصطناعي، تتغير طريقة تعلم البشر جذرياً. كما حذر عالم الحاسوب جوزيف وايزنباوم قبل عقود، يكمن الخطر الحقيقي في تكييف البشر لعقولهم مع منطق الآلة. الطلاب لا يتعلمون أقل فحسب؛ أدمغتهم تتعلم عدم التعلم.

يسمي الكاتب والمذيع كال نيوبورت هذا بـ«الدين المعرفي» - رهن اللياقة المعرفية المستقبلية مقابل راحة قصيرة المدى. ويشبّه ضيفه براد ستولبرغ الأمر باستخدام رافعة شوكية في صالة الألعاب الرياضية: يمكنك قضاء ساعة كاملة ترفع فيها لا شيء وتشعر بالإنتاجية، لكن عضلاتك ستضمحل. التفكير، مثل القوة، يتطور عبر المقاومة. كلما فوضنا إجهادنا العقلي للآلات، فقدنا القدرة على التفكير أصلاً.

هذا التآكل أصبح مرئياً بالفعل في الفصول الدراسية. يأتي الطلاب طلقاء في صياغة الأوامر (prompting) لكن مترددين في التعبير عن أفكارهم الخاصة. تبدو المقالات مصقولة لكنها متكلسة - ملصقة من تراكيب اصطناعية وأفكار منقولة. لغة التأمل - «أتساءل، أُكافح، أرى الآن» - تختفي. وفي مكانها تظهر القواعد النظيفة للأتمتة: طلاقة وكفاءة ولكن فارغة.

المأساة الحقيقية ليست أن يستخدم الطلاب ChatGPT لإنجاز أعمالهم الدراسية، بل أن الجامعات تعلم الجميع - طلاباً، أعضاء هيئة التدريس، وإداريين - توقف التفكير. نحن نفوّض القدرة على التمييز للآخرين. يتخرج الطلاب طلقاء في صياغة الأوامر، لكن أميين في الحكم؛ يُدرّس أعضاء هيئة التدريس لكن لا يُسمح لهم بحرية التعليم؛ والجامعات، متحمسة للظهور بمظهر الابتكار، تهدم الممارسات نفسها التي جعلتها جديرة بالاسم. نحن نقترب من الإفلاس التعليمي: شهادات بلا تعلم، تعليم بلا فهم، مؤسسات بلا هدف.

روح التعليم العام على المحك. عندما تمنح أكبر منظومة جامعية عامة ترخيصاً لشات بوت من شركة تُدرج الصحفيين في القائمة السوداء، وتستغل عمال البيانات في الجنوب العالمي، وتجمع قوة جيوسياسية وطاقة على نطاق غير مسبوق، وتضع نفسها كولي أمر غير منتخب لمصير البشرية، فإنها تخون مهمتها كـ «جامعة الشعب» المتجذرة في المبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

OpenAI ليست شريكاً - إنها إمبراطورية، متخفية وراء الأخلاقيات ومرفقة بشروط الخدمة. الجامعة لم تُقاوم. بل ضغطت على زر «موافق».

لقد شاهدت هذا الانهيار من زاويتين: كأستاذ يعيش التجربة، وكطالب جامعي من الجيل الأول كان يعتقد ذات يوم أن الجامعة مساحة مقدسة للتعلم. في ثمانينيات القرن الماضي، التحقت بجامعة ولاية سونوما. لم يكن جامعة ولاية كاليفورنيا (CSU) يتقاضى رسوماً دراسية - فقط رسم تسجيل متواضع بقيمة 670 دولاراً سنوياً. كانت الاقتصاد في ركود، لكنني بالكاد شعرت بذلك. كنت مفلساً بالفعل. إذا احتجتُ إلى بعض المال، كنتُ أبيع أسطوانات الفينيل في متجر الأسطوانات المستعملة. لم ألتحق بالجامعة «لكي» أحصل على وظيفة. ذهبت لأستكشف، لأتحدى نفسي، لأعرف ما الذي يهم. استغرقت ست سنوات لأتخرج بشهادة في علم النفس - ستة من أكثر الأعوام معنى واستكشافاً في حياتي.

كان هذا النوع من التعليم - المفتوح، الميسور، الساعي للمعنى - مزدهراً في الجامعات العامة. لكنه الآن يكاد ينقرض. لا يمكن «توسيعه». لا يتناسب مع الخطة الاستراتيجية. ولا يُحتسب - وهذا بالضبط سبب رغبة الـ Chatversity في القضاء عليه. لكن هذا يكشف أيضاً حقيقة أخرى: يمكن أن تكون الأمور مختلفة. لقد كانت كذلك يوماً.

المصدر:

https://www.currentaffairs.org/news/ai-is-destroying-the-university-and-learning-itself?s=09

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org